

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 09 - سورة الفرقان - تفسير الآيات 68 - 70 الشرك الخفي.

11-07-1995

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، الآية السابعة والستون من سورة الفرقان وهي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68)﴾

[ سورة الفرقان ]

لا شirkاً جلياً، ولا شirkاً خفياً، فقد يكون الهوى إلهاً، وقد يكون الصديق إلهاً، وقد يكون القوي إلهاً، وقد يكون الغني إلهاً، لذلك كما قلت في درس سابق، الشirk الجلي انتهى من العالم الإسلامي أخوف ما أخاف على أممي الشirk الخفي! فليس في العالم الإسلامي صنمٌ يُعبَدُ من دون الله تعالى، وفلا يوجد اللات ولا العزى، ولكن هوى الإنسان أحياناً إلهاً، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43)﴾

[ سورة الفرقان ]

لكن شخصاً قوياً تعتمد عليه وتعصي الله لترضيته جعلته كالإله ولكن إنساناً غنياً تعتمد عليه وتعصي الله من أجل أن ترضيه فهذا اتخذته كالإله، قريباً أم مجباً.

فالشirk الجلي انتهى من العالم الإسلامي، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام يخشى على أممي من الشirk الخفي، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68)﴾

[ سورة الفرقان ]

المؤمن وَقَافٌ عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ، قَتْلُ نَفْسٍ بَعِيرٍ ذَنْبٌ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ جَدًّا وَهَذِهِ تَبْدَأُ مِنْ قَتْلِ حَشْرَةٍ لَا تُؤْذِيكَ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَنْتَهِي بِقَتْلِ الْإِنْسَانِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَظَلُّ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَسْفِكْ دَمًا، فَالطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ سَهْلُ الْمَسْئَلِكِ إِنْ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ كِبَائِرَ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا(31)﴾

[ سورة النساء ]

الكِبَائِرُ مُهْلِكَةٌ، وَالصَّغَائِرُ يُسْتَصَغَّرُ مِنْهَا، وَبِالْمُنَاسِبَةِ، ذَنْبٌ لَا يُعْفَرُ وَذَنْبٌ لَا يُتْرَكُ وَذَنْبٌ يُعْفَرُ، فَالَّذِي يُعْفَرُ مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَالَّذِي لَا يُتْرَكُ مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعِبَادِ لِأَنَّ حُقُوقَ الْعِبَادِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمَشَاحَةِ، أَمَا حُقُوقُ اللَّهِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمُسَامَحَةِ، أَمَا الذَّنْبُ الَّذِي لَا يُعْفَرُ أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ تَعَالَى.

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾

[ سورة الفرقان ]

هَذِهِ اللَّامُ نَاهِيَةٌ أَمْ نَافِيَةٌ ؟ فَرَقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً، وَبَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَاهِيَةً، فَالِنَاهِيَةُ كَأَنَّ تَقُولَ: لَا تَزْنُوا، فَالْفِعْلُ الْمُضَارِعُ مَجْرُومٌ بِلاِ النَاهِيَةِ، وَعَلَامَةُ جَزْمِهِ حَذْفُ النونِ مِنْ آخِرِهِ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ، أَمَا مَادَامَ الْفِعْلُ ؛ لَا يَزْنُونَ هَذِهِ اللَّامُ نَافِيَةٌ، فَأَيُّهُمَا أَبْلَغُ ؛ أَنْ يُنْهَى الْمُؤْمِنُ عَنِ الزَّنا أَمْ أَنْ يُنْفَى عَنْهُ الزَّنا ؟ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ مَعَ الزَّنا، الْإِيمَانُ عِقَّةٌ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَعِقَّةٌ عَنِ الْمَطَاهِرِ، فَلَا يَجْتَمِعَانِ وَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ مَثَلًا كَثِيرًا ؛ طَرِيقُ سَالِكِ مَكْتُوبٍ عَلَى الْإِشَارَةِ مَمْنُوعِ الْمُرُورِ، فَهَذَا نَهْيٌ، أَمَا إِذَا رَأَيْتَ الطَّرِيقَ مَقْطُوعًا بِالْبُلُوكِ ؟ فَهَذَا مَنَعٌ فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَمْرٌ تَكْوِينِيٌّ، وَلَهُ أَمْرٌ تَكْلِيفِيٌّ، فَالْأَمْرُ التَّكْوِينِيٌّ إِذَا قَالَ: لَا أَيْ لَا، أَمَا الْأَمْرُ التَّكْوِينِيٌّ إِذَا قَالَ: لَا ؛ أَيْ لَا تَفْعَلْ، لِذَلِكَ أَحَدُ الْأَشْخَاصِ قَالَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَكُنْ مَسِيرُنَا إِلَى الشَّامِ بِقَضَائِهِ وَقَدَّرْ ؟! فَقَالَ: وَيْحَكَ! لَوْ كَانَ قَدْرًا لِازْمًا، وَقَدْرًا حَاكِمًا إِذَا لَبِطَلَ الْوَعْدُ الْوَعْدِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا(70)﴾

[ سورة الفرقان ]

وَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ الَّتِي ارْتَكَبَهَا تَعْدُو حَسَنَاتٍ، هَذَا مَعْنَى فَاسِدٍ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ أَنَّ الصِّفَاتِ السَّيِّئَةَ بَعْدَ أَنْ تَتَّصَلَ بِاللَّهِ، فَالصَّلَاةُ لَهَا هَدَفَانِ: تُظَهِّرُ مِنَ الْأُدْرَانِ، وَتُحَلِّي بِالْكَمَالِ ؛ تَطْهِيرٌ وَتَحْلِيَةٌ وَتَعْطِيرٌ، فَلِذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا(70)﴾

[ سورة الفرقان ]

أيها الإخوة، إن لم تجد نفسك أنك تبدلت تبدلاً جذرياً، وقد تركزت سفايف الأمور وتعلقت بمعالى الأمور، وإن لم تكن على حالة يرضى الناس عنها، وإن لم يحبك الناس، فمعنى ذلك أن في الإيمان خلل، يقول عليه الصلاة والسلام:

((بني الإسلام على خمس...))

هل هذه الخمس هي الإسلام؟ بني الإسلام عليها، فالإسلام بناء أخلاقي فقد روى البخاري:

(( أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماداً فيها أبا سفيان وكفار قريش فاتوه وهم بإبلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان فقلت أنا أقربهم نسباً فقال أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم إني سأئل هذا عن هذا الرجل فإن كذبتى فكذبوه فوالله لو لا الحياء من أن يأتروا علي كذباً لكذبت عنه ثم كان أول ما سألتى عنه أن قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله قلت لا قال فهل كان من آبائه من ملك قلت لا قال فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت بل ضعفاؤهم قال أيزيدون أم ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قلت لا قال فهل يعذر قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها قال ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتلكم إياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال يئال منا وننال منه قال ماذا يأمركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والركاة والصدق والعفاف والصلة فقال لترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل يعذر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تعذر وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه

مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمُ تَسْلِمُ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِن عَلَيكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ وَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فُقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَّغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخْبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمَرَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيُظْهِرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبَ إِبِلِيَاءَ وَهَرَقْلُ سَفْفًا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِبِلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا حَبِيبَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَكْرَمْنَا هَيْبَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَنُّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَنُّ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهْمَنَّكَ شَأْنُهُمْ وَانْثَبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أَنِّي هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكٌ عَسَانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَخْبِرَهُ هِرَقْلُ قَالَ أَذْهَبُوا فَانظُرُوا أَمْخَتَيْنِ هُوَ أَمْ لَا فَانظُرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَنُّونَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبِهِ لَهُ بِرُومِيَّةٍ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمصَ فَلَمَ يَرِمُ حِمصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِإِعْظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةِ لَهُ بِحِمصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعَلِقَتْ ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَنَبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ عَلِقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفَرَتَهُمْ وَأَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي أَنفًا أُخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلِ))

[ رواه البخاري ]

فالإسلام بناء أخلاقي، وإن لم تكن ذا خلقٍ عظيمٍ فلسئت مؤمناً.

أيها الإخوة، مركز الثقل في هذا اللقاء قوله تعالى:

**﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)﴾**

[ سورة الفرقان ]

إن لم يتحدث الناس عن أخلاقك العالوية فمعنى ذلك أن إيمانك مزور فالؤمن الجبان لا يوجد، والمؤمن البخيل لا يوجد، والمؤمن مزدوج أو سفيه أو حقيد أو منحرف ؛ هذه لا يمكن أن تكون في المؤمن وربِّ

نال للقرآن والقرآن يلعبه، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً، ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وقال تعالى:

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53) ﴾

[ سورة التوبة ]

يقول " : لبيك اللهم لبيك، فيقال له: لا لبيك ولا سعديك وحجك مزدود عليك ! فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً، والزور يتنافى مع الصيام والزكاة قال تعالى:

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53) ﴾

[ سورة التوبة ]

وكذا الحج، فهذه العبادات لا تنفع إن لم تكن ذا خلق عالٍ، والنبى عليه الصلاة والسلام كان خطيباً وذا خلق عظيم وعالمٍ ومجتهد، وكان قاضياً، وكل الصفات الراقية كانت فيه، ولما مدحه لم يمدحه كخطيب ولا كمجتهد، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) ﴾

[ سورة القلم ]